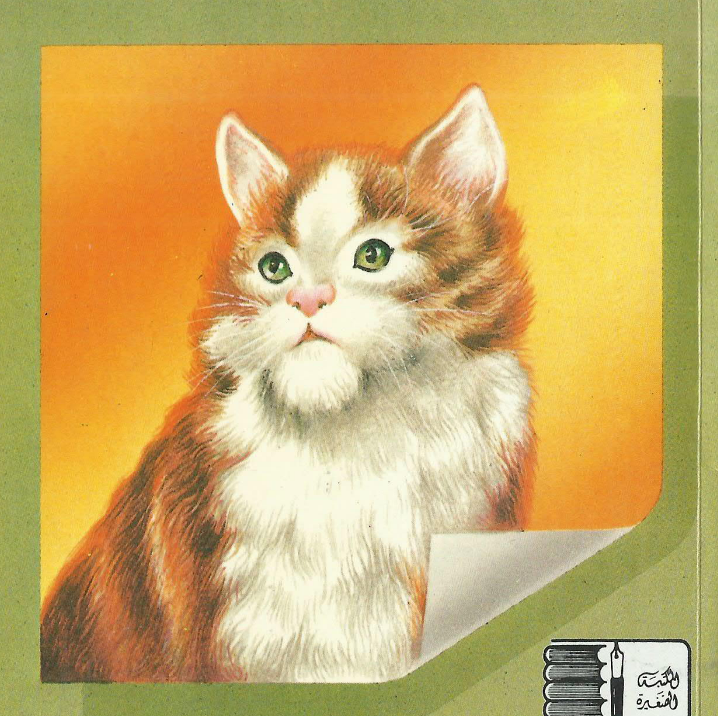
من مراثي الحيوان
في الشعر العربي



العوضي الوكيل

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

مِن مَرَاثِي ٱلحَيَوان

في الشعر العربي

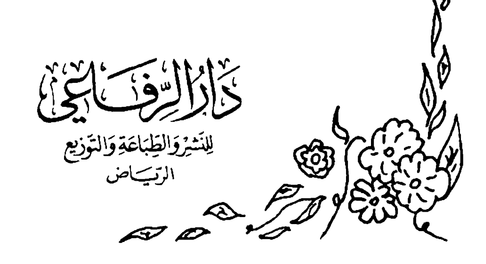
المكتبة الصغيرة

(٥٠)



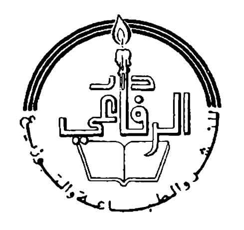
من مراثي الحيوان في الشعر العربي

العوضي الوكيل



دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

خطبة الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وبعـــد:

فإني قد شغلت منذ وعيت بالقراءة والاطلاع، ومنذ درجت شغفتني الكتب حباً فلا يكاد يقع في يدي كتاب حتى أتم قراءته في جلسة أو جلستين، وقد يعن لي أن أستظهر بعض ما يُعجبني من كلماته وفقراته. وأول ما قرأته واشتريته من سوق القرية الأسبوعي، هو كتاب إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ثم أحضر لي أبي من سوق المدينة كتابين كانا مع إعلام الناس نواة ما قرأت في عمري، وهما كتاب تاريخ العرب في أسبانيا أو تاريخ الأندلس لمحمد عبد الله عنان، ورباعيات الخيام من ترجمة وديع البستاني، ثم اقتنيت سمير الأطفال لمحمد الهراوي، ثم زاد محصولي من الكتب حتى أمكنني أن أجمع أكثر من أربعة آلاف كتاب في مختلف الفنون والمعارف الإنسانية أختلف إليها الفينة بعد الفينة وأفزع إليها كلما حزبني أمر أو مسني طائف من شؤون الحياة وما أكثرها.

وقد أعجبني أن يرثي الشاعر حيواناً نافقاً أو مقتولاً وحصل لدي محصول لا بأس به من هذه المراثي بعضها فكاهة وبعضها

مدامع، فعرضت الأمر على معالي الصديق الكريم الأستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعي لعلّه يجد لها مكاناً في المكتبة الصغيرة، فكان من سوابغ فضله أن رحب بها وحثني على أن أنجزها سريعاً.

واستطعت أن أجمع صدراً صالحاً منها مثل مرثية أبي بكر بن العلّاف لهرّه الفقيد، ورثاء ابن عنين الدمشقي لحماره النافق، وبكاء على عجل نفق للشاعر أحمد القرعيش وبكاء محمد الأسمر وعلي الجندي على خروف مات منتحراً كما ادعيا، وأن أجد في مجموعة مجلة أبولو مرثية غراب للشاعر عبد الغني الكتبي. ووجدت للشاعر ديك الجن الحمصي رثاء لديك مات لعمير بن جعفر، ومرثية ببغاء ماتت للفضل بن الربيع.

أما مراثي البراذين فقد وجدت عبد الملك بن الزيات قد رثى برذونه الأشهب بأبيات حزينة تهمل حروفها بالدموع ووجدت في الجزء الثالث من يتيمة الدهر للثعالبي عدّة قصائد سماها المؤلف مراثي البراذين غاية في الروعة والطرافة.

ولم أغفل المحدثين فقد جمعت قصيدة للشاعر الراحل العواد في رثاء سنقر كان يألفه كما جمعت للعقاد رثاء كلبه بيجو ولطاهر الجبلاوي، ولدينا مزيد إن شاء الله وأَعْطَى القدرة على إكماله وهو ولي التوفيق.

القاهرة، مصر الجديدة: النزهة العوضي الوكيل

ابن عنّين يرثي حمارًا

من ابن عنّين؟ :

في ترجمة واسعة لابن عنّين كتبها الأستاذ خليل مردم بك قال :

هو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنّين الأنصاري الدمشقي، يتصل نسبه بالأنصار، هاجر آباؤه الأولون من المدينة إلى الكوفة في زمن لا سبيل إلى تعيينه ـ ولكن بعد الإسلام على كل حال ـ فالأوس والخزرج سموا بالأنصار بعد الهجرة. والكوفة مدينة إسلامية مصّرت في عهد الخليفة الثاني وكانت منازل أولئك الآباء في الخطة المعروفة بمسجد بني النجار بالكوفة.

ثم تركوا الكوفة إلى حوران فإلى دمشق. وولد ابن عنّين في دمشق في التاسع من شعبان سنة ٥٤٩ هـ، ونشأ وتعلم على أيدي طائفة من جلّة العلماء والفقهاء بالجامع الأموي، ورحل

إلى بغداد وسمع من أدبائها وعلمائها، وسمع من منوجهر بن تركان شاه راوي مقامات الحريري، وابتدأ يقول الشعر وهو ابن ست عشرة سنة في عام ٥٦٥ هـ، وحين اشتد عوده بدأ يغمز الدولة والقائمين بها من قواد وقضاة كما يغمز علماء دمشق ورؤساءها وأعيانها، ولقد بلغت به الجرأة مبلغاً بعيداً حتى تعرض لصلاح الدين فقال:

قد أصبح الرزق ما له سبب
في الناس إلا البغاء والكذب
سلطاننا أعرج وكاتبه
ذو عَمَش والوزير منحدب
وحاكم المسلمين ليس له
في غير غرمول أسود أرب
عيوب قوم لو أنها جمعت
في فلك ما سرت به شهب

وضجر به الناس في دمشق وضاقوا به فنفاه السلطان فأخذ يهتف:

فعلام أبعدتم أخا ثقة
ما خانكم يوماً ولا سرقا
انفوا المؤذن من دياركمو
إن كان يُنفى كل من صدقا

ورحل إلى الجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن واشتغل بالتجارة بين هذه الأقطار ثم رجع إلى الحجاز ومصر. وفي الهند لم يلق تقديراً فهجا الهنود فقال:

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى
أرض الهنود سوى الصواعق والدما

ثم عاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين، وذهب إلى مصر فالتف حوله شعراء مصر وأكرموه ولكنه مع ذلك اشتاق إلى دمشق فاسترضى السلطان هناك بشعر مديح أنشأه، وحين دخل دمشق هتف يقول:

هجوت الأكابر في جِلَّق
ورعت الوضيع بهجو الرفيع
وأخرجت منها ولكنني
رجعت على رغم أنف الجميع

عاد ابن عنّين إلى دمشق والقائم بالأمر فيها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل، وكان عالماً فاضلاً أديباً فقيهاً لغوياً نحوياً، يقرّب العلماء والأدباء ويجالسهم ويجري عليهم الجرايات، ويقترح عليهم تأليف الكتب ويضع الخطط لها، من ذلك أنه أمر أن يجمع له كتاب في اللغة، جامع لصحاح

الجوهري وتهذيب الأزهري وجمهرة ابن دريد وغيرها من دواوين اللغة، كما أمر أن يرتب مسند أحمد بن حنبل على الأبواب، وكان يجيز من يحفظ كتاب المفصل للزمخشري بمائة دينار وخلعة، وكان الملك المعظم عيسى نفسه من المؤلفين، ألّف كتاباً يرد به على الخطيب البغدادي منتصراً للإمام أبي حنيفة، ومن عجيب أمره ما ذكره في مقدمته من أنه ألّف ذلك الكتاب وهو يرد هجوم الصليبيين عن نابلس.

ولذلك لم يكن عجيباً أن يقبل هذا الملك العالم الأديب على ابن عنّين ويقربه ويسمر معه ولا يصبر عنه، وولاه الوزارة بدمشق وهنا أصبح ابن عنّين عند الملك المعظم شاعراً ونديماً ووزيراً ومستشاراً وسفيراً. على أن ابن عنّين ضاق ـ بعد حين ـ بالوزارة فطلب الاستقالة بشعر قال فيه:

أقلني عثـاري واحتسبهـا صنيعـة
يكـون بـرحمـاهـا لـك الله جـازيـا
كفى حزناً أن لست ترضى ولا أرى
فتى مـاضيـاً عني ولا الله راضيـا
ولست أرجّي بعـد سبعين حجـة
حيـاة وقـد لقيت فيهـا الـدواهيـا

ولكن الملك لم يقبل الاستقالة وبقي فيها حتى مات المعظم

ا...ماه خلفه، وعاش ابن عنّين عزباً لم يتزوج، وقبل وفاته ...ه جيزة أهدى مماليكه إلى الملك الأشرف وكتب إليه:

يـا ملك الـدنيـا الـذي سُخْـطه
يُـفْـني وجـدوى كـفـه تـغـني
لي أعـبـد قـد ضـاق ذرعي بهم
وأضـجـرتهـم عـلتي مـنّي
يشكـون مـني مثـل مـا أشتـكي
مـنهـم فـخلّصـهـم وخـلّصـني

وتوفي ابن عنّين بدمشق في الحادية والثمانين من عمره ودفن ...ارض المزّة من أرباض دمشق ووقف داره على من التحى من المردان، فلما سئل عن ذلك قال: هؤلاء تشغلهم المرودية عن ...ملم الصنعة، فإذا التحى أحدهم لم يجد ما يتقوت به، وهي ...هة من أوجه البر لم أسبق إليها.

أما قصيدته في رثاء الحمار فجميع شرّاح ديوانه أثبتوها في ...اب الرثاء ولكن الأستاذ خليل مردم بك عند تحقيق ديوانه وطبعه نشرها في باب الدعابة والتهكّم والسخرية وقال: ومن ملحة قوله يرثي حماراً له مات في الموصل. والقصيدة تبلغ خمسة عشر بيتاً من البسيط على قافية اللام المضمومة.

وهذه هي القصيدة كما هي في ديوانه المطبوع في دمشق سنة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك وزير الخارجية السورية الأسبق ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق:

١ - ليل بأول يوم الحشر متصل
ومقلة أبداً إنسانها خَضِلُ[١]
٢ - وهل ألام وقد لاقيت داهية
ينهدّ لو حملتها بعضها الجُبُل[٢]
٣ - ثوى المِصَك[٣] الذي قد كنت آمله
عوناً وخيّب فيه ذلك الأمل
٤ - لا تَبْعدن تربة ضمت شمائله
ولا عدا جانبيها العارض الهطل
٥ - لقد حوت غير مكسال ولا رعش
إنْ قَيَّدَ القُودَ مِنْ دُونِ السُرَى الكَسَلُ[٤]

---

(١) خضل: مبلل بالدموع.
(٢) الجبل: بضمتين الجماعة من الناس.
(٣) الحمار المصك: الحمار القوي الشديد.
(٤) القود: جمع قيداء: وهي الناقة السريعة.

٦ ـ قد كان إن سابقته الريح غادرها
كـان إخمصها بـالشـوك ينتعـل[١]

٧ـ لا عاجزاً عند حمل المثقلات ولا
(يمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل)[٢]

٨ ـ مكمّل الخلق رحب الصدر منتفخ الـ
ـجنبين لا ضافـر طاوٍ ولا سَغِـل[٣]

٩ ـ يـطوي على ظمـأ خمساً أضـالعـه
في بيضة[٤] الصيـف والرمضاء تَشْتَعِلُ

١٠ ـ ويقطع المقفرات المـوحشات إذا
عن قـطعها كلت المَهْـرِيَّة البُـزُلِ[٥]

١١ ـ ففي الأباطح هَيْق[٦] راعه قنص
وفي الجبـال المنيفـات الـذرى وَعِـلُ

---

(١) كأنه يمشي على الشوك.

(٢) هذا عجز بيت للأعشى ميمون وصدره:

«غراء فرعاء مصقول عوارضها»

(٣) السغل: من معانيه المهزول.

(٤) بيضة الصيف: شدة حرارته.

(٥) المهرية البزل: النوق الشابة القوية السريعة.

(٦) الهيق: الظليم وهو ذكر النعام.

١٢ ـ يـرجّع النهق مقـرونـاً ويـطربني
لحناً كما يُطْرِب المزمـوم والرمـل[١]
١٣ ـ لو كان يفدى بمال ما ضننت به
ولم تصن دونـه خـيـل ولا خـول
١٤ ـ لكنهـا خـطة لا بـد يبلغهـا
هـذا الـورى كـل مخلوق لـه أجـل
١٥ ـ وإن لي بنـظام الـدين تعـزيـة
عنـه وفي النجب من أبنـائـه بـدل

* * *

(١) المزموم والرمل: لحنان.

هِرّ ابن العلّاف

الشاعر: هو أبو بكر الحسن بن علي النهرواني الضرير.

تحدث عنه ابن خلكان في الجزء الأول من الوفيات ـ الترجمة رقم ١٦٤ فقال: كان من الشعراء المجيدين وحدّث عن أبي عمر الدوري، وحميد بن مسعدة البصري، ونصر بن علي الجهْضَمي، ومحمد بن إسماعيل الحسابي.

وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النحاس، وأبو الحسن الخراجي القاضي، وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم، وكان نديماً للإمام المعتضد بالله.

ومن حكاياته مع المعتضد قال: بتُّ ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلاً فقال: أمير المؤمنين يقول: أرقت الليلة بعد انصرافكم. فقلت:

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى
إذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد أُرْتِجّ عليّ تمامه، فمن أجازه بما يوافق غرضه أمرت له بجائزة. قال ابن العلّاف: فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت فقلت:

فقلت لعيني عـاودي النوم واهجعي
لـعــل خيــالاً طــارقــاً سـيـعــود

فرجع الخادم ثم عاد فقال: أمير المؤمنين يقول أحسنت، وقد أمر لك بجائزة. أما قصة الهرّ ـ موضوع القصيدة ـ فقد اختلفوا في شأنها، قال بعضهم:

كان لابن العلاف هرّ يأنس به، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل أفراخها وكثر ذلك منه فأمسكه أربابها فذبحوه، فقال هذه القصيدة يرثيه. وقال غيره: إن ابن العلاف رثا بها عبد الله بن المعتز وخشي من الإمام المقتدر أن يظهرها لأنه هو الذي قتله، فنسبها إلى الهرّ وعرّض به في أبيات منها، وكانت بينهما صحبة أكيدة، وقال الصاحب بن عباد: أنشدني أبو الحسن بـن أبي بكر العلّاف، وهو الأكول المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبيه في الهرّ وقال: إنما كنى بالهر عن الحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه. وفي كتاب الفصوص لصاعد اللغوي عن المرزباني: هويت جارية لعلي بن عيسى غلاماً لأبي بكر بن العلاف الضرير

فظهر أمرهما فقتلا جميعاً وسلخا وحشي جلودهما تبناً، فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه بها وكني عنه بالهر.

قال ابن خلكان: وهي من أحسن الشعر وأبدعه، وعددها خمسة وستون بيتاً من المنسرح، وطولها يمنع من الإتيان بجميعها، فنأتي بمحاسنها وفيها أبيات مشتملة على حِكَمْ، فنأتي بها.

وقد طال عمر ابن العلاف حتى نيف على المائة وولد في سنة ٢١٩ هـ وتوفي سنة ٣١٩ هـ.

أما النهرواني التي وردت في اسمه فهي بلدة صغيرة قريبة من بغداد. وهذه هي القصيدة كما وردت في وفيات الأعيان لابن خلكان:

يا هر فارقتنا ولم تعد
وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد
تطرد عنّا الأذى وتحرسنا
بالغيب من حيّة ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها
ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقاك في البيت منهم مدد

وأنت تلقاهمو بلا مدد

لا عدد كان منك منفلتاً

منهم ولا واحد من العدد

لا ترهب الصيف عند هاجرة

ولا تهاب الشتاء في الجمد

وكان يجري ولا سداد لهم

أمرك في بيتنا على سدد

حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا

ولم تكن للأذى بمعتقد

وحمت حول الردى بظلمهمو

من يحم حول حوضه يرد

وكان قلبي عليك مرتعداً

وأنت تنساب غير مرتعد

تدخل برج الحمام متّئداً

وتبلغ الفرخ غير متئد

وتطرح الريش في الطريق لهم

وتبلع اللحم بلع مزدرد

أطعمك الغيُّ لحمها فرأى

قتلك أربابها من الرشد

حتى إذا داوموك واجتهدوا

وساعد النصر كيد مجتهد

كادوك دهراً فما وقعت وكم

أفلت من كيدهم ولم تكد

فحين أخفرت وانهمكت وكا

شفت وأسرفت غير مقتصد

صادوك غيظاً عليك وانتقموا

منك وزادوا ومن يصد يصد

ثم شفوا بالحديد أنفسهم

منك ولم يرعووا على أحد

ومنها:

فلم تزل للحَمَام مرتصداً

حتى سُقيت الحُمَام بالرصد

لم يرحموا صوتك الضعيف كما

لم ترث منها لصوتها الغرد

أذاقك الموت ربهن كما

أذقت أفراخه يداً بيد

كأن حبلاً حوى بجودته

جيدك للخنق كان من مسد

كأن عيني تراك مضطرباً
فيه وفي فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم
تقدر على حيلة ولم تجد
فجدت بالنفس والبخيل بها
أنت ومن لم يجد بها يجد
عشت حريصاً يقوده طمع
ومت ذا قاتل بلا قود
يا من لذيذ الفراخ أوقعه
ويحك هلا قنعت بالغدد
ألم تخف ثبة الزمان كما
وثبت في البرج وثبة الأسد
عاقبة الظلم لا تنام وإن
تأخرت مدة من المدد
أردت أن تأكل الفراخ ولا
يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما
أعزه في الدنو والبعد
لا بارك الله في الطعام إذا
كان هلاك النفوس في المعد

كَم دخلت لقمة حَشَا شَرِهٍ
فأخرجت روحه من الجسد
ما كان أغناك عن تصعدك الـ
ـبرج ولو كان جنة الخلد
قد كنت في نعمة وفي دعة
من العزيز المهيمن الصمد
تأكل من فأر بيتنا رغداً
وأين بالشاكرين للرغد
وكنت بددت شملهم زمناً
فاجتمعوا بعد ذلك البدد
فلم يبقوا لنا على سَبَدٍ
في جوف أبياتنا ولا كبد
وفتتوا الخبز في السلال فكم
تفتت للعيال من كبد
وفرغوا قعرها وما تركوا
ما علقته يد على وتد
ومزقوا من ثيابنا جدداً
فكلنا في المصائب الجدد

* * *

رثاء غراب

للشاعر: عبد الغني الكتبي

في العدد الثاني من المجلد الثاني من مجلة أبولـو ص ١١٩ قرأنا قصيدة الغربان للشاعر الذي لم يصل إلينا من أخباره شيء سوى اسمه عبد الغني الكتبي، وقد قدم لها الشاعر بكلمة في بضعة سطور قال فيها:

«بينما كنت سائراً في أصيل يوم رأيت صياداً يضرب غراباً على شجرة مطلّة على النيل فسقط الغراب فوق ظهر الموج فاجتمع جماعة من الغربان إليه من كل فج تتجاوب بالنداء وتهم بالرثاء تحاول إنقاذ أخيها، وكان يصيح وهو يقاوم اللجج إلى أن غرق».

الغـــراب:

أقمت عـلى الغصـون طـوال يـومي
فـــما أنــكــرت منهـــا قــبـــل شـيّـــا

سلام يا رفاق فكل حيّ
يسير إلى الردى ما دام حيّا
مضت سبعون لي ورأيت فيها
رصاصاً في الفضا يدوي دويّا
تجنبه المقادير اصطيادي
وآمن جنبه القدر العتيّا
فسلهم أي ذنب لي لديهم
فقاموا وجهوا نحوي القِسِيّا
وكم زجروا فطرت لهم سُعُوداً
وها أنذا غدوت بهم شقيّا
كأن الله لم يرسل إليهم
لينهاهم - ويأمرهم - نبيّا
سلام يا غصون وهاك دمعي
وإن يك قبل ذا دمعاً عصيّا
سلام يا سماء وفيك جالت
يد المقدار أو حتف تهيّا
وقبلاً كنت لي حصناً منيعاً
فوافى الحتف حيث النفس تحيّا
سلام أيها النيل المفدّى
فقد أشبعتني - من قبل - ريّا

وقبلاً كنت لي يوماً حياة

ويطوي الآن جسمي الموت طيّا

سلام يا مساء ولا صباح

يليك فلن أرى النور البهيّا

سلام يا هواء وكنت ملكي

وفيك درجت في مهد صبيّا

أتدري أنني أصبحت ملقى

بوجه الماء - ما استطعت المضيّا

(جماعة من الغربان تسقط على القتيل وتصيح):

سلام يا أخانا أو وداعٌ

فليت الحتف وافانا سويّا

عجزت عن النهوض وكنت قبلاً

تشق الجو ذا مرح فتيّا

ألا لا يَفْخَرَنْ يوماً قويّ

فإن الحتف لا يذر القويا

حذرت العمر من قدر مصيب

فلما جاء صار الرشد غيا

ومن يعرف يد المقدار يوماً

يجد ذا الحرص مأفوناً غبيا

غراب آخر قادم من بعيد:

سلام...

جماعة الغربان:

بل قضاء بل هلاك
به كل الطيور غدا شقيا
سعى الإنسان في حتف إلينا
وكان اليمّ ساعده القويا

(قيثارة الفناء)

إلى الفناء جميعاً من صائد ومصيد
إلى الفناء جميعاً من سيّد ومسود
إلى الفناء جميعاً ما منكمُ ذو خلود
إلى الفناء جميعاً

الأرض والبحر ملكي والجو والنيّرات
والناس رهن بسفكي وهذه الكائنات
كل سعى نحو هُلْك ولو تطول الحياة
سعى فكان سريعاً
إلى الفناء جميعاً

ذلّلْتَ بالبطش كلاً سيّان ليث وذيبُ
لم يبق في الكون إلا على الوجود النحيبُ
كل بناري يُصْلى وكل حي غريب
أسمعت منهم جميعاً
إلى الفناء جميعاً

* * *

رثاء فرس

لمحمود صفوت الساعاتي

عاش الشاعر المصري محمود صفوت الساعاتي في الحجاز سنوات مديدة، وكان من أصدقائه ومنافسيه شاعر حجازي هو الشيخ زين العابدين المكّي الحجازي الذي نفقت فرسه في طريق جدّه فقال الساعاتي يعزّيه:

قضت وهي تدعو فالق الحَبِّ والنوى
بقلب كئيب دقه الحزن والنوى
فكيف نعزي الشيخ في الفرس التي
به طوت الأسفار صبراً على الطوى
وكانت به تجري مع الريح خفّة
وأشبعها ضرباً فعاشت على الهوى
وإن حُمِّلت ما لا تطيق لضعفها
تعوّج منها الظهر والذنب استوى

قضت وهي ما ذاقت شعيراً لزهدها
فـما شعـرت إلا وعـرقـوبهـا التـوى
ألا أيهـا الخـلّ الـذي طـال حـزنـه
عليهـا، وفي أحشائـه التهب الجوى
فعش أنت واسلم والحمـير كـثيـرة
ومثلك معــدوم النـظير لمـا حــوى

* * *

رثـاء ديـك

لديك الجن الحمصيّ

ديك الجـن:

هو ـ كما ورد في معظم المصادر ـ: ديـك الجن أبو محمـد عبد السلام بن رغبان بن تميم الكلبي الحمصيّ، وجده تميم أصله من قرية مؤتة من قرى البلقاء بمشارف الشام، وقد أُخذ محارباً من المستعربـة في جيش هرقل وأسلم على يد حبيب بن مسلمة الفهري.

وديك الجن لقب غلب عليه، قال الدميري في كتابه حياة الحيوان نقلاً عن زكريا القزويني: «ديك الجن دُوَيِّبَّة توجد في البساتين إذا ألقيت في خمر عتيق حتى تموت، وتترك في محارة وتسد رأسها وتدفن في وسط الدار، فإنـه لا يرى فيهـا شيء من الأرضة».

وقال الزبيدي في تاج العروس: الديك في كلام أهل اليمن الرجل المشفق الرؤوف أو الرؤوم ومنه سمي الديك ديكاً، وقال:

والديك أيضاً الربيع في كلامهم، كأنه لتلون نباته يكون على التشبيه بالديك، وديك الجن لقب عبد السلام بن رغبان الحمصي الشاعر المشهور».

وقال الزركلي في الأعلام ج ٤ ص ١٢٨ : سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين.

وأصل ديك الجن من سُلَمِيّة وهي بُلَيْدة من أعمال حمص بيد أنه ولد في حمص سنة ١٦١ هـ، وزار عبد السلام مصر بعد رحلة أبي نواس المشهورة كما أكدت ذلك كتب منها الأغاني.

وزار حمص أيام ديك الجن كثير من مشهوري الشعراء ووفدوا عليه، ومنهم أبو نواس الذي طرق بابه صائحاً، يا عبد السلام لقد فتنت أهل العراق بقولك:

مُوَرَّدةٌ من كف ظبي كأنما
تناولها من خدّه فأدارها

فخرج إليه وأضافه.

كما زاره دعبل الخزاعيّ وطرق بابه فاستخفى فقال دعبل: اخرج يا أشعر الإنس والجن أَلَسْتَ الذي تقول:

بها غير معدول فداو خمارها
وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونـل من عظيم الـوزر كل عـظيمة
إذا ذكـرت خاف الحفيـظان نـارهـا

فظهر إليه واعتذر له وأحسن نزوله.

وذكروا أنّ أبا تمام كان يختلف إلى ديك الجن في حمص إبان نشأته الشعرية ويستفيد منه.

ذكروا أن أبا تمام لما زار ديك الجن لأول مرة في داره بحمص سلّم وأنشده شعراً، فأخرج ديك الجن من تحت مصلّاه درجاً كبيراً فيه كثير من شعره فسلّمه إليه وقال: «يا فتى تكسّب بهذا واستعن به على قولك» فلما خرج سألوه عنه فقال: هذا فتى من أهل جاسم يذكر أنه من طيّء يكنى أبا تمام حبيب بن أوس فيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع».

وقال ابن رشيق في العمدة: كان أبو تمام قد أخذ عن ديك الجن شاعر الشام أمثلة من شعره يحتذى عليها فسرقها.

وفي حياة ديك الجن مأساة كبيرة فقد وُشِيَ به إلى زوجته ورد بنت الناعمة وكانت فتاة نصرانية رائعة الجمال فقتلها وأحرق جسدها وأخذ ترابها وخلط به شيئاً من الرماد وصنع منه كوزاً للخمر يشرب منه ويقبله.

ومات ديك الجن في سنة ٢٣٥ هـ.

أما رثاءه للديك فمن قصته أن عمير بن جعفر كان قد أولم لعبد السلام بن رغبان على ديك عجوز قليل الشحم واللحم فقال متهكماً وراثياً للديك الذبيح:

دعـانا أبـو عمـرو عمـير بن جعفـر
على لحم ديك دعـوة بعـد موعـد
فقَـدم ديكـاً عُـدَّ دَهْـراً ذَمَـلَّقـاً
مـؤنّس أبيـات مـؤذّن مسـجـد[1]
يحـدثنـا عن قـوم هـود وصـالـح
وأغـرب ما لاقـاه عمرو بن مَـرْثَـدَ
وقـال لقـد سَبّحْتُ دهـراً مُـهَلِّلاً
وأسهـرت بـالتـأذين أعـين هجّـد
أيـذبـح بـين المسـلمـين مـؤذّن
مـقيـم عـلى ديـن الـنبـي محـمـد
فقلت لـه يـا ديـك إنـك صـادق
وإنـك فيـما قـلت غـير مفـنّـد
ولا ذنب للأضياف إن نالك الردى
فـإن المنـايـا للديـوك بمـرصـد

* * *

(١) الزملق الفصيح الحاد اللسان.

رثاء عجل

أحمد القرعيش

أحمد القرعيش شاعر مجيد توفي منذ سنوات، وكان يجيد الشعر ويفتنّ في نظمه وكان مدرساً بمدرسة غزالة الخيس بالشرقية.

وكان له عجل ففقده فجأة فناح عليه فأقام بعض شعراء الشرقية حفل تأبين للعجل ووقف أحد الشعراء في الحفل يلقي مرثيته في العجل الفقيد، فقال على لسان صاحبه الحاج أحمد القرعيش:

يا باهر الذيل والقرون
أبكيك بالمدمع الهتون
حاذرت فيك المنون حتى
وقعت في قبضة المنون
يا صاحبي خواءِ عيشي
ويا رفيقي ويا خديني

غادرتني دون ما وداع
ولست بالغادر الخؤون
وكنت في منزلي مصوناً
واليوم غال الردى مصوني
زادت شجوني عليك حتى
أوشكت أقضي من الشجون
كم خرت في منزلي خواراً
في السمع أحلى من اللحون
وكنت ذخري على الليالي
بلحمك الرائع السمين
ولم أدوِّرك في السواقي
ولا النواريج في الجرين
فأنت أسمى لديّ قدراً
من أن ترى موضع المهين
عليك أبكي بكاء حر
راع لعهد الوفا أمين

* * *

سنقر العـوّاد

الشاعر: هو محمد حسن عوّاد كتب في جريدة المدينة المنوّرة في ٢ جمادى الثانية ١٤٠٠ هـ يقول: كانت طفولتي عادية، فولدت بين أب حنون وأم رؤوم، يرعياني بكل ما يملكان من حنان وقوة واهتمام. ومات والدي قبل بلوغي الحلم وبقيت في رعاية والدتي، رحمها الله، وبإشراف خالي المرحوم محمد عبيد بن زَقْر وهو أخ لوالدتي من أمها فقط.

أما عائلة والدتي فهم من آل الزامكة بجدّة. نشأت في حارة اليمن وهي إحدى الحارات الأربع التي تتكون منها جدة القديمة. أما منزلنا فكان عائداً للسيد علي لطيفة (صهر قائمقام جدة آنذاك). والشيخ لطيفة سوري الأصل وكان متعهد الدولة لتمويل العسكر بالخبز، وكان صاحب مخابز للعيش وكان رجلاً ثرياً وله أملاك بمدينة جدة، فولادتي تمت في حارة اليمن في منزل السيد علي لطيفة.

ولست الوحيد لأبي وأمي فقد كانت لي شقيقة أصغر مني سناً

أنجبت ولداً وبنتاً والولد هو الصحافي الأستاذ محمد سعيد البَاعَشَنْ، وكان أهلي يروون لنا أنه قبل ولادتنا رزقهم الله تعالى بسبع بنات ولكنهم توفوا جميعاً وشاء الله أن أعيش أنا وشقيقتي فقط. أدخلني والدي المدرسة قبل أن ينتقل إلى جوار ربه. كنا نعاني من المعيشة. وكان والدي يعمل في أعمال النقل البحري ويملك بعض القوارب التي كانوا يطلقون عليها اسم السنابيك أو الزعائم أو السواعي، وكان له شريك في هذه الأعمال هو المرحوم باجنيد، وكان ناظر مدرسة الفلاح هو الشيخ عبد الرؤوف جمجوم وكان يكرمني ويشجعني لأجتهد. وشعرت في داخلي أنني ميال للشعر فكنت أكتب الشعر ولكنني لا أحسن العروض، ومارست الشعر كما يتأتى لي وكما أستوحيه من قراءة دواوين الشعراء كالمتنبي وغيره، وكنت أنظم الشعر بدون أن أتعلم قواعد العروض، ولكن نظمي كان يوافق القواعد الصحيحة بمجرد تقليد النغم. كنت أقرأ الأبيات الشعرية الجيدة فتقع نغمتها في نفسي وأنظم على هذه النغمة. كببت على قراءة الدواوين الشعرية بجانب الكتب الأخرى خاصة كتب الفلسفة. هذا إلى جانب الدروس المدرسية التي كنت متفوقاً فيها. ولم أرسب ولله الحمد في أيّ سنة. وبعد ذلك مضيت شوطاً في كتابة الشعر. وفي سنة **١٣٤٥** هـ كتبت كتابي

الأول: «خواطر مصرّحة» الذي كان يحتوي على نقد صريح وعميق للعادات الاجتماعية والشعر والأدب آنذاك بصورة صريحة وجريئة لا غبار عليها. وكان هذا الكتاب نتيجة مطالعاتي وإحساسي وإدراكي لمعنى الشعر والأدب والذي لم أجد هذا الفهم موجوداً في أدباء بلدي آنذاك، فتناولت في معرض كتابي نقداً لهذه النواحي والآراء، وكنت لا أزال طالباً منتظماً في مدرسة الفلاح. وكان ناظر المدرسة لعطفه عليّ قد أمرني أن أقوم بتدريس بعض المواد لطلبة المدرسة بمعنى أنني كنت طالباً ومعلماً في آن واحد. وكنت أقوم بتدريس البلاغة، وكنت أتقاضى على ذلك مرتباً قدره ٤ جنيهات شهرياً ـ والجنيه على ما أعتقد أقل من عشرة ريالات ـ.

ووقع التنافس بيني وبين حمزة شحاتة، وكان كتابي خواطر مصرّحة قد أقام الدنيا وأقعدها.

وذكر العواد كمالة لحديثه لصحيفة المدينة المنورة أن ولادته كانت في عام ١٣٢٤ هـ.

وللعواد أعمال أدبية كثيرة هي:

١ ـ تأملات في الأدب والحياة، وقد صدر في عام ١٩٥٢ وطبع في مطبعة العالم العربي بالقاهرة.

٢ ـ من وحي الحياة، مقالات قصيرة. طبع بالقاهرة ١٩٥٤.

٣ ـ مؤتمر أدباء العرب في لبنان، طبع سنة ١٩٥٤.
٤ ـ كان العواد قد أصدر الطبعة الأولى من كتابه خـواطر مصرّحة سنة ١٩٤٥ ولكنه أعاد طبعه وأصدره في جزأين سنة ١٩٥٤.
٥ ـ سليمان بن عبد الملك محرر الرقيق.

* (آماس وأطلاس) وهو أول ديوان شعري له ويضم إنتاجه في سن بين الحادية عشرة والعشرين وطبع سنة ١٩٥٢.
* في سنة ١٩٧٢ أعاد طباعة ملحمته الشعرية بعنوان «ملحمة الساحر العظيم».
* أصدر ديوان شعر سماه «نحو كيان جديد».
* (في الأفق الملتهب) وهو ديوان يمثل إنتاج الشاعر بين الثلاثين والأربعين.
* (رؤى أبولون) ديوان من الأداء الحر.
* الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجي.
* التضامن الإسلامي.
* آفاق الأولمب.
* المنتجع الفسيح.

أما قصيدته في رثاء السنقر فهي في ٤٥ بيتاً وقد صدرها بمقدمة قال فيها:

السنقر طائر من الجوارح الجميلة تختلف أسماؤه باختلاف انواعه ومنه النوع المسمى بالدرّة.

وقد كان لنا سنقر مدلل صادقناه، ثم باغته هر وهو خارج القفص ففتك به على غير استعداد لردّ عادية الفتك ـ فرثيناه بهذه القصيدة تخليداً له ووفاءً للصداقة ولو كانت ممثلة على مسرح الطير، وهذه هي القصيدة:

اسفي عليك أبعد تسعة أشهر
يثب الحمام عليك دون تدبّر
يا خافضاً طرف الجناح ورافعاً
طرف الصباح إلى السميع المبصر
ومعاشراً زُمَرَ الأنيس تواضعاً
لله في ملكوته المتكبر
ومسبّحاً أبد الحياة بحمده
والناس تجعل كنه ذاك وتمتري
ومناجياً من غير لفظ واضح
ومجاوباً من غير عقل نيّر
ومسالماً في عيشه عشراءه
ومن الأنام محارب للمَعْشر

ومـراعيـاً أدب المقيم رعــايـة الـ
ـنحل الحميم على اختلاف العنصر
ومن الـورى من يستهـين بعهــده
نــزق الفؤاد يعيش كــالمستـهــتر
بسم الصــداقـة مبســماً متفككــاً
بــدع المــودة كــالــدم المتخــثّر

* * *

أواه كيف سعت إليك يد الـردى
وهوت عليك هُـويّ عزم القَسْـوَرِ
فــرمت بجــانحتيــك آيــة أسهم
وهـدت لعــارضتيــك آيـة أظفــر
لم يـا صديق وفي السؤال تفلسف
مستبهـم الأصــداء غــير مفســر
لم لم تــطل أمـد الإقــامـة بيننــا
لـتـلـذّ مــنــه بمــطعـم مـتـخــيّر
وتنـــال منــه مبــوّأً تــرفــاً رَوَى
للطير منــك مكــرّمــاً في عبقــر

وكــأن مــدتــك التي أعــطيتهــا
عهـد الجنين طــواه عهـد المِثْبَــرِ

* * *

لله أمــســيــة شــعــرت بــأنها
أغــاءة الـزمن الــذي لم يشعــر
مـا راعني إلا «. . . .» وقد رأت
فيهــا المـدلــل مستحــال المنــظر
ملقىً بــزاويــة الـفنــاء مجنــدلاً
في التــرب يغمض مقلة المتــأثّــر
جثمــانــه متبــاعــد عــن رأســه
من فعــل مخلب فــاتــك متنمــر
هــو تــرصّــد خــطوه من خلفــه
فـسعـى إليــه بميتــه لم تـقــدر
متــرقّبــاً لبقــا بـحيـلة ثـعـلب
متسـلّلاً حــذراً بـخـفّـة جـؤذر
متــدسّساً قَنِصــاً بـذلّــة خــائن
متبجحــاً شـرســاً بفعلة مجتــري

وكأنما هو أرقم متنكّر

يسعى (...) لأرقم المتنكّر

فبدا الفقيد ورأسه متطرّح

ضرب يلوح بأخضر وبأحمر

لونين متسقين طُيِّر منهما

قبس الحياة فطار أفضل عنصر

قالت ألا انظر كيف أصبح ساكناً

هذا الفم الشادي بصوت معبر

وترقرقت في مقلتيها عبرة

وقف الحياء بها فلم تتبلور

فأثارني هذا الوفاء لطائر

من طفلة ورثيت غير مفكر

ومن الطفولة للنهي متلمّس

يعظ الحياة من الشعور بنيّر

فأجبتها بين المسرة والأسى

ثملاً كفاء وفائها للسنقر

لك يا ابنتي متع الحياة فغرّدي

في البيت واقتبلي السرور وصفّري

وتلفتت يمناي للجسد الذي
لفظ الحياة من الكيان المدبر
وطفقت أسأله ولست بسائل
إلاّ الحياة بصرفها المتطور
عجبي أسرعة ذا تغادر عاطفاً
يحنو وعاطفةً ولمّا تنذر
عجبي أسرعة ذا تودّع عشك الـ
ـمألوف قام بمنزل متنوّر
عجبي أسرعة ذا تفارق هذه الـ
ـدنيا ولست بغيرها بمبشّر
أعرفت بالإلهام فلسفة الرضا
والطوبيات وأنت غير مُخَيَّر
كنا نعدّك للطفولة عندما
تنوي زيارتنا بغرة أزهر
فيتم منك بهاؤها بمداعب
ويتم منك سرورها بمصفّر
كنا نعدك للحديقة حينما
تزهى بحسن مغرّد ومنضّر

كنـــا نعـــدك لـلحيـــاة تـشيـعهـــا

في الـــدار منـك بمنــظر وبمخبــر

كنـــا نعـــدك لـلغنـــاء وإن يـكن

مستبهم النبــرات غـــير مفسّـــر

فــذهبت والأيـام تـــذهب هكـذا

رغم التحسّـــر والهــوى المتحسّـــر

وتسجـل الذكـرى حيـاة صـداقـة

تمـلي العظام عـلى الذي لم يـذكر

تـزجي سعـادة ذي فؤاد عـــاطف

وتـــطيـل شقــوة جـاحـــد متجبّــر

جدة: ١٣٦٨ هـ

* * *

رثاء شاة

جاء في الجزء الثاني من كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٢٧٦ طبعة الحلبي.

قال أعرابي وأكل ذئب شاة له تسمى وردة وكنيتها أم الورد:

أودى بوردة أم الـوَرْدِ ذُو عَسَـلٍ
من الذئاب إذا ما راح أو بكرا[١]

لـولا ابنها وسليلات لها غُـرُر
ما انفكت العين تذري دَمْعَها دُرَرَا[٢]

---

(١) جعل كنيتها أم الورد لأن لها سليلات غرر كما قال في رثائها. ذو عسل: أي يعسل في مشيه أي يهتز في مشيه.

(٢) سليلات: بنات. تدري: تسكب. درر: غزير.

كـأنما الـذئب إذ يعـدو عَـلَى غَنَمِي

في الصبح طالب وِتْرٍ كان فَـاتّأرا[١]

اعتــامهــا اعتــامــه شَثْنٌ بــراثنــه

من الضواري اللواتي تَقْصِمُ القَصَرا[٢]

قال الجاحظ: في هذا الشعر دليل أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصُبْح عند فتور الكلب عن النباح، لأنه بات ليلته كلها دائبا يقظان يحرس، فلما جاء الصبح جاء وقت نوم الكلاب وما يعتريها من النعاس.

* * *

---

(١) الوتر: الثأر. أتأرا: ادرك ثأره.

(٢) أعتامها: اختارها. الشثن براثنه: الغليظ البرائن يدعو عليه أن يعتامه سبع ضار. تقصم القصرا: تقطع الرقاب.

الخروف المنتحر

هما شاعران معاصران اختارهما الله إلى جواره الكريم محمد الأسمر وعلي الجندي. أهدى أحد الشعراء خروفاً إلى الأسمر فنفق قبل العيد، فقال فيه الأسمر قصيدة منها:

ولم أزل مبتهجاً منتظراً
قدومه مطبّلاً مزمّرا
حتى علمت أنّه فجأة
مات ولاقى حتفه مشمّرا
وأنه استعجل ما كان له
لو لم يمت مهيّئاً مقدّرا
من لامه في أمره فإنني
عذرته ـ والله ـ فيمن عذرا
لما أحسّ أنه هدية
لشاعر فكّر ثم انتحرا

فقال فيه علي الجندي :

فقدك الأحور السمين على العيد
بلاء طاشت له الألباب
إن تكن صابراً فلست تراني
صابراً ما توالت الأحقاب
وانتحابي عليه قرّح جفني
وقليل لمثله الانتحاب
أين منّي الرّفاق في رقّة الشو
ق إليه وأين منّي الكباب
أين مني الشواء يملأ قلبي
بنشيش تلذّه الأعصاب
يا لها أكلة حسبت لها الأيا
م ضاعت وضاع فيها الحساب
كيف مات الخروف قل لي لم
يمسسه سقم ولا عداه شباب
أتراه تعجّل الموت قبل الـ
ـموت والخوف للنفوس تباب
أم تراه قد كان صبّاً معنّى
والصبابات للردى أسباب

قــد قنعنــا من الضحــايــا بــديـك
وقــليــل المــقــلّ لــيس يُــعــاب
وســلامي عليــه لا بــل ســلامي
لــشــريــد تُحْــدى إليــه الــركــاب

* * *

رثاء كناري

لطاهر الجبلاوي

هذا النص في ص ٢٩ من ديوانه بقايا الكأس الذي أصدره عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) في يونيه ١٩٦٥ .

أين لحن الربيع أين الغناء
أين رقص في وكرك المحبوب
سكنت نغمة وغاب صفاء
وهفا الموتَ بالكنار الطروب

*　*　*

أين قيثارك الصغير يُحيي
بالنشيد الوديع حفل الحياةِ
في الصباح الرطيب أو في العشيّ
يتغنى بأعذب النغمات

*　*　*

العصافير في الحديقة تصدح
والأزاهير باسمات الثغور
كل ما في الحياة يلهو ويمرح
وأنا والكنار خلف الستور

* * *

يا أبا الشدو قم معي نتغنى
قَبُحَ الصمت والحياة بديعه
مهرجان الربيع بالقرب منا
قم نحيّي الجمال يا ابن الطبيعه

* * *

ضجعة الموت خيّبت كل قصد
ويد الفقد قطّعت أوتارك
فإذا أنت بعض ريش وجلد
ووقود النمال تعمر [illegible]

* * *

ومضى الصوت وانتهى كل لحن
غير لحن على المدى [illegible]

هو رجع أراه يغمر أذني
بغناء من السماء شجيّ

* * *

هو سر الكنار من أزمان
حملته عصفورة تتجدد
أنشدوه في كل عصر وآن
إن لحن الكنار لحن مخلّد

* * *

البرذونيات

جاء في كتاب للدكتور مصطفى الشَكْعَة:

العزاء في الحيوان من ثيران وبراذين لم يكن - في مجال التفكّه والدعابة والمعابثة - أمراً مستغرباً في القرن السادس، فقد نفق بِرْذَوْن لأبي عيسى المنجّم بأصبهان وكان هذا البرذون هدية من الصاحب بن عباد إلى أبي عيسى، وطالت صحبته له، فأوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين حوله أن يعزّوا أبا عيسى في برذونه فأنشأ كل واحد منهم قصيدة طريفة فكهة في رثاء البرذون الفقيد، حتى تجمع منها عدد ضخم، جمع الثعالبي أكثره في اليتيمة وعرفت هذه القصائد باسم البِرْذَوْنِيَّات نسبة إلى البِرْذَوْن النافق، ومن هذه القصائد قصيدة أبي القاسم الزعفراني، وقد جنح إلى السخرية من البرذون الفقيد قال:

يــا لــه حمــرة ونجــماً وشـؤبــو

بــا وبـرقــاً وطـائـراً في الـرّواء

راكب الليل خائض السيل عين
الخيل وعانته أعين الأعداء
فقد الوحش منه أول قَطّا
ع إليها المدى أمام الضراء
واستراحت من نقعه مقلةُالشمـ
ـس ومن لطمه، خدودُ الفضاء

ثم يزيد رافعاً من شأن البرذون موجهاً أبياته إلى أبي عيسى مشبهاً البرذون بالبراق قائلاً:

كم ركبت البراق منه أبا عيـ
ـسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرس لو علاه ذو الزهد عمرو
بن عبيد لتاه في الخيلاء
كل بؤس أتتك من قبل الله
فسلّم بها لجاري القضاء
سوف تعتاض عن خصيّك فحلاً
لم يشنه بيطاره بالخصاء

ويجيء بعدهما أبو القاسم بن العلاء فيفوق في تفكهه وسخريته وإضحاكه أبا القاسم الزعفراني، فيما أنشأ من أبيات تعتبر في ذروة البراعة فكاهة وسخرية وإضحاكاً، مع خفّة روح

منقطعة النظير في رثاء برذون أبي عيسى، فيقول من قصيدة طويلة:

بكته حلال الخزّ وانتحبت له
مخالي حرير عدن منه عطولا
أقام عليه آل أعوج مأتماً
وأعلى له آل الوجيه طويلا
ففي كل اسطبل أنين وزفرة
تردد فيه بكرة وأصيلا
ولو وفت الجرد الجياد حقوقه
لما رجّعت حتى الممات صهيلا
ولو أنصفته الخيل ما ذقن بعده
شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا
فقدت أبا عيسى بطرْفَك مركباً
جليلاً وخلاً - ما علمت - نبيلا
عتادك في الجليّ وكهفك في الوغى
عُونك يوماً إن أردت رحيلا(١)

* * *

(١) يتيمة الدهر للثعالبي والأدب في موكب الحضارة العربية للشكعة.

مرثية برذون

لعبد الملك بن الزيات

قال عبد الملك بن الزيات يرثي برذونة الأشهب عندما أرغم على فراقه وإهدائه للخليفة فنظم تلك القصيدةالتي يقول فيها:

قـالـوا جـزعـت فقلت إن مصيبـة[1]
جـلّت رزيّتـهــا وضــاق المــذهـبُ
كيف العــزاء وقــد مضى لسبيـله
عــنــا فــودعــنــا الأحــمّ الأشــهـبُ
ربّ الــوشــاة فــأبــعــدوه وربمــا
بعــد الفتى وهــو الحبيب الأقــربُ
الآن إذ كــمــلت أداتــك كُــلُّهــا
ودعــا العيـون إليــك لـون مُعْجِبُ

(١) إن ـ هنا ـ حرف جواب بمعنى نعم ومن شواهدها في النحو:
ويـقـلن شـيـب قـد عـلا   ك وقـد كـبـرت فـقـلت إنَّـهْ

واختير من سر الحدائد خيرُها

لك خالصاً ومن الحُليّ الأغربُ

وغدوت طنّان اللجام كأنما

في كل عضو منك صنج يضربُ

وكأن سرجك إذ علاك غمامة

وكأنما تحت الغمامة كوكبُ

ورأى عَليَّ بك الصديق مهابة

وغدا العدو وصدره يتلّهبُ

أنساك؟ لا برحت إذن منسية

نفسي ولا زالت بمثلك تنكب

* * *

مرثيّة ببغاء

قال القاضي ابن خلكان في ترجمة الفضل بن الربيع بن أحمد ابن يوسف الكاتب. كتب إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببغاء وله أخ كثير التخلّف يسمى عبد الحميد:

أنـت تبـقى ونـحن طـرّاً فـداكـا
أحـسـن الله ذو الجـلال عـزاكـا
فلقـد جلّ خـطب دهرٍ أتـاكـا
بمـقـاديـر أتـلفـت ببـغـاكـا
عـجبـاً لـلمنـون كـيف أتـتهـا
وتخـطت عبـد الحميـد أخـاكـا
كـان عبـد الحميـد أجمـل للمـو
ت مـن البـبغـا وأولى بـذاكـا
شـمـلتنـا المـصيبتـان جميـعـاً
فـقـدنـا هـذه ورؤيـة ذاكـا

مرثيّة العقاد
لكلبه بيجو

العقاد أشهر من كل تعريف وهذه قصيدة له في رثاء كلبه بيجو

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهد ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله يا بيجو لحزن وجيع

* * *

حزناً عليه كلّما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مسامري حيناً ومستقبلي
وسابقي حيناً إلى مدخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبي من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف
ذلك خير من فؤاد صريع

* * *

حزناً عليه كلما عزّني
صدق ذوي الألباب والألسن
وكلما فوجئت في مأمني
وكلما اطمأننت في مسكني
مستغنياً أو غانياً بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسياً
بيجو ولم أبصر به آتيا
مداعباً مبتهجاً صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا بل ليتني قد نسيت

أحسبني ذاكــره مــا حييت
لو جاءني نسيانه مـا رضيت
بيجـو معـزَّى إذا مـا أسيت
بيجو مناجيَّ الـولوع الأمـين

* * *

بيجو الذي أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذي يزعجني بالصياح
لـو نبحةٌ منـه، وأين النباح
ضيّعت فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خَـطرْتـه يـا بـرحهـا من ألم
يخدش بأبي وهو ذاوي القدم
مستنجداً بي ويح هذا البكم
بنــظرة أنـطق من كــل فم
يا طول ما ينظر هذا فظيـع

* * *

ثم لا أرى النوم لعيني بطيب
أنتم خبيـرون بنهش القلوب

يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضي الدنيا ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يحد
عيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل والنجم وشعب خليع

* * *

أبكيك أبكيك وقلّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لو صحّ هذا ما محضت الوفاء
لغائب عنك وطفل رضيع

* * *

مرثية كلب

لطاهر الجبلاوي

لن نتحدث عن طاهر الجبلاوي، ولكننا سنتركه يتحدث عن نفسه:

قال محمد طاهر الجبلاوي في مقدمة ديوانه من بقايا الكأس الذي أصدره في يونيه ١٩٦٥:

ولدت في مدينة دمياط في ١٨ من مايو ١٨٩٨ ونظمت الشعر وأنا في الخامسة عشرة من عمري، وكنت أذهب فيه مذهب المتقدمين من شعراء العرب وأهتدي بهديهم. ولم تكن البيئة التي حولي توحي بغير القديم فجعلت همّي الديباجة الرفيعة أحتذي حذوها وأحاول السموّ إلى مرتقاها كلّما رأيت في نفسي الرغبة في نظم الشعر، فوقعت في أسر اللفظ وطغت على شعري عوامل المحاكاة في هذه المرحلة.

وانتقلت إلى القاهرة سنة ١٩٢٢ واتصلت بكبار الشعراء

فيها، وقدّمني حافظ وشوقي بأبيات سررت بها كثيراً، وكدت أعتقد أني وصلت إلى الغاية التي ما بعدها غاية.

وظهرت حركة التجديد التي أعلنها العقاد والمازني وشكري فاستهوتني بعد أن تشبّعت بالقديم وكدت أقف عند حده، وكان لحظّي أنني تلاقيت والعقاد في تلك الأيام، وأطلعته على ديواني فوجّهني التوجيه الصحيح وفتح أمامي أبواباً جديدة غيّرت مجرى حياتي الأدبية، ولازمته منذ ذلك الوقت فأفدت كثيراً من صحبتي له ونظمت ديوان ملتقى العبرات سنة ١٩٢٥ فقدمه بأبيات قال فيها:

لـك شعـر يحكي سـريـرة نفس
رُكّـبـت مـن صـراحـة ونـقـاء
جبلت كـالـفـراش في أمـة الـ
ـطير خفـوقـاً بـين الـندى والضيـاء
فـتعـهّـدْ حـدائقَ الـشعـر والـبسْ
حـلل الـروض واطَّلِعْ في الـسماء
وانشـد النـور في جـوائـك واطلب
بعـدهـا الشمسَ في رحيب الفضـاء
أنت يـا طـاهـر الفـؤاد جـديـر
مـن محبّيـك بـالـرضـا والثنـاء

لــك يــوم مــوفٍ بــأجمــل سعي
وغــد مــقــبــل بــخــير رجــاء

وفي سنة ١٩٤٨ أصدرت ديواني هواتف وأحلام فقدم له العقاد بكلمة جاء فيها:

انتقل من دمياط إلى القاهرة، فجاء من دمياط بـذخيرة السلف من الأدب القديم واتّصل في القاهرة بكل مدرسة من مدارسها الأدبية وهي يومئذ ملتقى التجديد والتقليد فأخذ من كل بنصيب، إلا أنّه هجر الفضول من القديم والجديد على السواء فندر جداً من شعر المناسبات كما ندر في شعر التعمل أو الشعر الذي يتعسّف فيه غلاة المجددين فنون الابتداع فيندفعون إلى التلفيق والاختلاق، وأخذ نفسه بأن ينظم فيما يعنيه ويحيك بضميره فسَهُل مورده من القريحة، وسهل مجراه على اللسان فلا تعثّر فيه ولا تعسّر لأنه يطلب الرياضة في مسيره، ويمضي حيث يطيب له المسير فنظم فيما رآه وأحسّه وهو غير قليل، لأنه انتظم محاسن البحر ومفاتن الصباح الوضّاح، والليل الحالم اللمّاح.

نظم فيما قرأه وتوفّر عليه، فعالج قصة المسرح ومثّل لها الأبطال من الشعراء وتمثل ديك الجن يتقلّب في حياته بين الحب والنقمة، وينتقل من نعمة إلى بؤس ومن بؤس إلى نعمة فأحياه

كما حيـي به، حتى استوعب لفظه ومعناه، وكان في كل أولئك أميناً لسليقته لا يتأنق ولا يتعمق فأحسن في أمانته كما أحسن في بساطته فإن:

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبـ
ـع عند التعمق الذلل

كما قال حكيم الشعراء، وهو أحق بأن يسمع في هذا المقام. انتهى كلام العقاد. وانضمّ طاهر إلى لجنة الشعر منذ إنشائها في سنة ١٩٥٥ حتى وافته منيته في سنة ١٩٧٩. ونذكر هنا أن مسرحيته الشعرية ديك الجن الحمصيّ قد قامت البعثة المصرية بلندن بتمثيلها وإذاعتها وأخرجها الأستاذ محمد الغزّاوي.

وحول رثاء كلب طاهر الجبلاوي، نذكر هنا أنه كان يقتني كلباً سماه (آمِي) بمعنى ـ صاحب ـ باللغة الفرنسية فدهمته سيارة في الطريق فبعث إليه صديقه الفنان صلاح طاهر وكان عضواً بندوة العقاد كلباً آخر اسمه ديوجين فعني به عناية كبيرة وأعدّ له بمنزلة حجرة خاصة ووضع في عنقه مصباحاً فضيّاً، ولكنه على الرغم من وقاره كان يلوذ بكلاب الجيران ولعلّه أحبّ إحداها فهام بها، وعاد طاهر إلى منزله يوماً فلم يجد كلبه ديوجين فنظم فيه قصيدة عقّب عليها العقاد بقصيدة، وكان طاهر قد رثا كلبه

(آمِي) الذي قتلته سيارة وفيما يلي نروي كل ما قيل حول كلبيّ طاهر من الشعر:

أرثيك يا كلبي الصغير
والدمع في عيني غزير
والدمع ليس ببدعة
إن كان مصدره الشعور
شهران مرّا يا آمِي
والبيت يغمره الحبور
مرحاً تروح وتغتدي
في خفة الظبي الغرير
طرباً إذا لاقيتني
وتكاد من فرح تطير
في كل عضو مهرجا
نٌ من أفانين السرور
وبكل عين نظرة
فيها من الإخلاص نور
إن جئتُ يوماً متعباً
وعلا محيّاي الفتور

أو أدركتني حالة
مما تضيق به الصدور
وجلست وحدي ساهماً
مما أُكتِّمُ في الضمير
سدّدت نحوي نظرة
بحّاثة عما يدور
وطفقت تسعى جاهداً
لتزيل عن نفسي النفور
حب لأجلِي خالص
في الناس قل له نظير

* * *

البيت أصبح موحشاً
والقلب مبتئسٌ كسير
ومعاهد لك خُلِّيَتْ
أمست لأشجاني تثير
فكأنني بك جالساً
فوق الأريكة كالأمير

كأنني بك صاحبي
عند الأصائل والبكور

* * *

لم أنس مصرعك الذي
غودرت في بلا نصير
ووقفت مكتوف اليدين
وأنت تبحث عن مجير
من ذا يجيرك من ردى
أخنى عليك بلا نذير

* * *

الموت أضرى ما يكون
عدا على الجسد النضير
وطواك في عجل تضجّ
الأرض منه في المسير
فإذا البشاشة والملا
حة في الدم القاني تمور

* * *

واريتُ جسمك في الثرى
والترب مَرْقَدُنَا الأخير

في ظل غصن وارف
يزهر على ماء الغدير

والجمع حولي مائل
من كلّ ذي أدب وفير

يأسون بالشعر البليغ
عليك والكلم النثير

ما نحن في الدنيا سوى
ركب إلى الأخرى يسير

وبعث إليه العقاد بهذا العزاء الفكاهي:

حزناً على كلب طاهر
فإنه طاهر الكلابْ

تشابها في خليقة
واتّفقا شيمة الصحاب

وربما عيًّ طاهر
وكلبه حاضر الجواب

فليس يوفيه حقّه
من اكتئاب أو انتحاب
إلّا إذا بات نابحاً
نبح المساعير في الخراب
عَوْ عَوْ عَوْ وَعَوْ بلاوني
ولا انقطاع ولا اقتضاب

لا تسألوا رحمة له
قد رحم الله واستجاب
لعله مات قانطاً
من أزمة الأكل والشراب
أراحه الله من ضنىً
أنقذه القبر من عذاب
فليحمد الله ربه
من جاع فليرض بالتراب

وأرسل إليه صديقه الفنان صلاح طاهر كلباً سماه ديوجين فنال منه عناية كما ذكرنا وعاد طاهر الجبلاوي إلى منزله ذات يوم فلم يجده فنظم القصيدة التالية:

غادرتني واختفيت فأي بيت قصدت

ما كان حظك منّي أقلّ مما طلبت
اللحم والخبز عندي والعطف والود فُتَّ
وحجرة لك فيها من الرغائب شتّى
وشاعراً فيلسوفاً ملبياً إن دعوت

* * *

كم من كتاب نفيس بلا حساب قطعت
وكم صحيفة شعر خطفتها وجَرَيْت
فما ضُرِبْتَ لذنب ولا بقول نُهِرت

* * *

لم يبترد بعض وجدٍ على عزيز خلفتَ
فقدته طيّ لحد وأنت حيّاً فُقِدْتَ
وكان فيك عزاء لرزئه لو دَرَيْتَ
فمن لرزئي أبغي إذا مضى ومضيت

* * *

في كل حي تراني مسائلاً أين أنتَ
وكلّما شمتُ كلباً أقول ها هو أنتَ
وارجع الدار عَلِّي أراك للدار عدتَ
فما اهتديت بسعي ولا إليّ اهتديتَ

* * *

فيا ديوجين قل لي ماذا دهاك فغبتَ
أكلبة كنت تهوى خَلّفتها وهجرتَ
فلا وداعاً جميلاً ولا سلاماً تركتَ
فهل خشيت ضلالاً من الهوى فارتحلتَ
أم اكتويت بنارٍ من الغرام فَهِمْتَ
سيّان في الحب هذا وذاك أنّى ذَهبتَ

* * *

بالله قلي لِيَ ماذا بعد الفراق وجدتَ
وبين قوم كرام تعيش كيف أردتَ
أم أنت بين صغارٍ لا يرحمون وقعتَ
مُوثّقاً في حبالٍ بغير ذنب جنيت
تجر في كل درب فإن عَصَيْتَ ضُرِبْتَ
وصرخة لك تمضي ما بينهم إن غَضِبْتَ

* * *

مصباحك اليوم يُنجي من كلّ شر رأيتَ
فاحمله وانشد صديقاً من الأنام ألفتَ
عليك منّي سلامٌ في أي دار حللتَ

وأبلغ الأمر إلى الأستاذ العقاد فأرسل إلى طاهر الأبيات الآتية من البحر والقافية:

كلب نجا وهو حيّ ... وآخر فرّ ميتا
ما بين تارك دنيا ... وتارك لك بيتا
قل لي بربّك ماذا ... على الكلاب جَنَيْتَ
حتى ديوجين ولّى ... يا سوء ما قد صنعتَ
والله ما كان يأبى ... لو صادف الخبز بحتا
أو جُدْتَ يوماً عليه ... فصادف الأدم زيتا
زَعَمْتَهُ راح يهوي ... من قومه الغرّ بنتا
لا تلزم الحبَّ ذنباً ... من الصيام تأتّى
فاحمل رغيفاً تجده ... في أيّ صوب نظرت
مصباحه ليس يجدي ... فلا تضع فيه وقتا
أنعم به من حكيم ... إلى ديوجين متّا
رأى السلامة حقّاً ... ومن رأى الحق أفْتى

* * *

رثاء أبي زبيد الطائي كلباً له قتله أسد

أبو زبيد الطائي هو ـ كما ورد في الأغاني ـ حرملة بن المنذر، وهو شاعر معمر عاش فيما زعموا ـ خمسين ومائة سنة ـ وهو من المخضرمين أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم ومات نصرانياً وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يقربه ويدني مجلسه.

واشتهر أبو زيد بكثرة وصفه للأسد وبجويده في ذلك وقد نعته نعتاً طويلاً عجيباً في مجلس عثمان فلما أطال قال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين ومن قصة كلبه وكان يسمى «أَكْدَر» أنه كان قد أعد له سلاحاً يلبسه إياه فيمتنع على الأسد ولا يقوم له. وفي الليلة التي قتل فيها الأسد الكلب كان الكلب قد خرج للمساورة ولم يلبس سلاحه فتمكن منه الأسد. وعدة القصيدة ثلاثة عشر بيتاً يروي النون المكسورة:

إخال أكدر مختالاً كعادته

حتى إذا كان بين الحوض والعَطَنِ[1]

---

(١) العَطَنِ: مبرك الإبل حوض الحوضِ.

لاقى لَـدَى ثَلَلِ الأطـواءِ داهيـة
أسرتْ وأكدر تحت الليلِ في قَرَنِ[1]
حـلت بـه سُنَّـةٌ وَرْهَـاءُ تـطردهُ
حتى تناهى إلى الأهوالِ في سَنَنِ
إلى مقارب خـطو الساعدين لـه
فوق السراة كَذِفْرَى القارح الغَضِنِ[2]
ريبـال ظلماءَ لا قَـحْمٌ ولا ضَـرَعٌ
كالبغل خط به العَجْلاَنُ في سَكَنِ[3]
فـأسـريـا وَهْمـا سنـا همـومهـما
إلى عرين كَشُنِ الأرْمَلِ[4] اليَفَنِ[5]
هـذا بمـا عَـلِقَتْ أظـفـاره بهـمٌ
وظن أكْـدَرَ غَـيرَ الأفْنِ والحَـتَنِ[6]

---

(١) الثلل ج. ثلة بالفتح وهو ما أخرج من تراب البئر. والأطواء: البئر المطوية بالحجارة. والقرن الحبل.
(٢) الذفرى: ما بين المقد إلى نصف القذال والمقذ ما بين الأذنين من خلف. والقارح الفرس في سن الخامسة. والغَضِن: السريع.
(٣) الرئبال: الأسد القحم العجوز. والضَرِع: الصغير في السن.
(٤، ٥) فأسريا: الضمير يعود إلى الأسد والكلب. وسنا همومهما: وجها همهما. الأرمل الفقر المحتاج أو العزب. واليفن: الشيخ.
(٦) الأفن: ضعف الرأي والحتن الباطل.

حتى إذا ورد الفِرْوَالُ وانتبهت
لحسه أم أجرٍ ستةٍ شُزُنِ[1]
بادٍ جَنَاجِيها حَصَّاء قد أَفَلَتْ
بهنَّ يبهرنَ تعبيراً على سَدَنِ[2]
وظن أكْدَرُ أن تمّوا ثمانية
أن قد تحلل أهل البيت باليُمُنِ[3]
فخاف عزتهم لما دنا لَهُمُو
فحَاص أكْدَرُ مشفياً من الوَسَنِ[4]
بأربع كلها في الخَلْق داهية
غُضْفٍ عليهن ضافي اللحم واللَّبَنِ
ألفاه متخذ الأنياب جُنَّته
وكان بالليل ولاجاً إلى الجَنَنِ[5]

---

(١) أم أجر: عنا بها اللبؤة. شزن بالتحريك الغليظ من الأرض.

(٢) الجناجين عظام الصدر مفردها جنجن. الحصاء: القليلة الشعر.

(٣) المعنى: قد حسب أكدر. لتمام عدد هذه الجراء ثمانية أنه يصيدها ليجلب لأهله بها نعيماً وعزاً. تجلل: اكتسى. اليمن ج. يمنة وهي من ثياب اليمن.

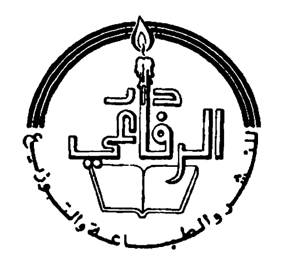
(٤) المعنى لما رآهم خاف قوتهم لكثرتهم. حاص: جال جولة يطلب بها المهرب والمحيص.

(٥) الجنة: ما يستجن به من درع ونحوه. ولاجاً: داخلاً. والجنن بفتحتين: القبر.

الفهرس

تم فسح هذا الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات

برقم ٢٨٧/م وتاريخ ١٦/١/١٤٠٣ هـ





الكاتب بقلمه

• وُلِدتُ في قرية دماص مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية في الحادي عشر من أبريل سنة ١٩١٥م، وحفظتُ القرآن في القرية في أحد الكتاتيب، وتعلَّمتُ في مدرسة تحضيرية المعلمين بالمنصورة عاماً واحداً، ثم تركتها إلى تجهيزية دار العلوم، وبعد خمس سنوات دخلتُ دار العلوم العليا سنة ١٩٣٣م وتخرَّجتُ فيها سنة ١٩٣٧م، واشتغلت بتدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية حوالى خمس سنوات، ثم تركتها إلى العمل في بعض الوزارات والمصالح، ثم تركتها منقولاً إلى ديوان الموظفين وكنت مراقباً عاماً للتدريب وترتيب الوظائف، وفيه نلتُ درجة المدير العام للميزانية، ثم رُقّيتُ وكيلاً للوزارة في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة بعد إلغاء ديوان الموظفين.

• وفي أواسط سنة ١٩٧٩م عُيِّنتُ وكيلاً لوزارة الثقافة المصرية، وبقيتُ في هذا المنصب إلى أن بلغتُ سن التقاعد يوم ١١ أبريل ١٩٨٢م فتقاعدت وانضممتُ إلى تحرير القسم الأدبي بجريدة «البلاد» السعودية ولا أزال.

• وقد زرتُ قبل تقاعدي وبعده كثيراً من أقطار الدنيا في الشرق والغرب وألَّفتُ أكثر من ٣٥ كتاباً، فضلاً عن عشر دواوين من الشعر.

• ومنحتني مصر جائزة الدولة للشعر سنة ١٩٧٠م، وظفرتُ بالوسام الثقافي من تونس، ثم وسام رواد المعلمين سنة ١٩٧٩م، ولا أزال عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة منذ عيَّنني الأستاذ العقاد بها، ومُنحتُ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٧١م.

٥ المحرم ١٤٠٣هـ
٢٢ اكتوبر ١٩٨٢م

العوضي الوكيل

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الثمن: ٤ ريالات